

شكره سنة النساء الهسسى

شروق أنوار المن الكبرى الإهية
بكشف أسرار السن الصغرى النسائية

تأليف فضيلة الشيخ

محمد الخنك نار بن محمد بن أحمد مزيد الجكنى الشنقيطى

المدرس بالمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة

غفر الله لوالديه وللمسلمين

المتوفى في المدينة سنة ١٤٠٥ هجرية

وقف لله تعالى

طبع على نفقة أحمد الحسين غفر الله لوالديه وللمسلمين

الجزء الأول

شرح سنن النسائي

ح) محمد محمد المختار الشنقيطي ، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشنقيطي، محمد محمد المختار

شرح سنن النسائي المسمى شروق أنوار المنن الكبرى الإلهية بكشف أسرار

السنن الصغرى النسائية/ محمد محمد المختار الشنقيطي - الرياض، ١٤٢٥هـ

١٩٢٠ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢ - ٤٧٣ - ٤٤ - ٩٩٦٠

١- الحديث - سنن ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

١٤٢٥/٤٤٣

ديوي ٢٣٥,٥

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٤٤٣

ردمك: ٢ - ٤٧٣ - ٤٤ - ٩٩٦٠

وقف لله تعالى

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شروق أنوار المنن الكبرى الإلهية بكشف أسرار السنن الصغرى النسائية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وهادي عباده المتقين إلى صراطه المبين، ومنزل الكتاب على خيرته من خلقه أجمعين، وفتح أبواب الخير والسعادة بالوصول إليه للقاصدين، وحافظ الشريعة من تزيف المنحرفين عنها والملحدن، الممتن على أهلها بتأييده للعلماء العاملين، الذين حفظوها وحافظوا عليها فدونها أكمل تدوين، الذائدين عنها بأقلامهم وأستهم كل تزوير فيها بكذب ومين، فجزاهم الله أحسن جزائه للمجاهدين كما وعدهم بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ورزقنا التوفيق والهداية إلى سلوك سبيلهم والتمسك بهدي أئمتنا الهداة المهديين، وجمعنا وإياهم في دار كرامته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإن كنا لسنا لذلك أهلاً فهو أهل للكرم والتفضل على عباده المجدين والمقصرين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وقائد الغر المحجلين المنزل عليه «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم» فينه أتم التبيين؛ حتى تركهم على المحجة البيضاء التي من زاغ عنها وتركها هلك مع الهالكين، وعلى آله وصحابه السالكين لسبيله في إقامة الحق ونشر الدين، والدعوة إليه بجهادهم جميع المكذبين والطاعنين فيه من المخالفين، ورضي عمن تبعهم على نهجهم وتمسك بدينهم في مشارق الأرض ومغاربها من الدانين والقاصين.

أما بعد: - فيقول العبد الفقير إلى رحمته تعالى المدعو باسمه - محمد المختار وهو ابن محمد بن سيد الأمين بن حبيب الله بن أحمد مزيد بن بون واسمه سعيد الجكني نسباً الرشيدي مولداً ومنشأ، ثم المدني إقامة وهجرة الشنقيطي شهرة - ولد في ضاحية قرية الرشيد، بموضع يسمى «الشُّقِيق» كان مزرعة لأهله، وقرية الرشيد في منطقة - تكانت - بكاف معقودة عند أهل البلاد وهي من بلاد موريتانيا ولد بها عام ١٣٣٧هـ وإنما اشتهرت النسبة لأهل هذه البلاد بشنقيط - وهي قرية من قراها - لأنها صارت علماً عليهم بالتغليب - قيل لأن الجنود من أسلافهم الذين فتحوا تلك البلاد لما اجتمعوا حين غزوها من المغرب كان اجتماعهم فيها أولاً فنسبوا إليها، وقيل إنهم لما استقروا بتلك البلاد كان يصعب عليهم السفر إلى الحج إلا من طريق المغرب، فيتواعدون هذا المكان ليجتمعوا فيه فنسبهم أهل المغرب إلى هذه القرية، فاشتبهوا بذلك - وأكثر المنتسبين إليها - ومن بينهم الكاتب - لا يعرفونها إلا بالاسم، وقد اشتهروا الآن باسمهم وهم - الموريتانيون - فالعبد الفقير خرج من مسقط رأسه على رأس سنة ١٣٥٧هـ، وهو على تمام التاسعة عشرة من عمره مهاجراً من البلاد أيام حكم الفرنسيين لها، وجاور بالمدينة المنورة.

أقول - وبالله أستعين -: لما رأيت كتب الحديث المسماة عند علماء السنة بالسُّنَّة، وبالأصول الستة، أو الأمهات الستة، أو الخمسة وهي شهيرة باسمها غنية عن التعريف بها، ورأيت الأربعة من الخمسة قد شرحت شروحاً مستوفاة من مطول ومختصر، ورأيت الخامس منها وهو - النسائي - لم يظهر له على وجه البسيطة حتى الآن شرح يكون وافياً به إلا تعاليق مختصرة جداً لا تفيد إلا في حل بعض الألفاظ. وكنت لا أرى للاشتغال بالتأليف في هذا الوقت كبير فائدة إلا الشهرة، أو أخذ شهادات الغالب عليها أن تكون غروراً لصاحبها وخديعة له ولغيره، فلما لم أر أحداً تصدى لخدمة هذا الكتاب العظيم حتى يكون مثل غيره من أصول السنة، استخرت الله تعالى في القيام بخدمته، وخدمة أهل العلم والمساهمة معهم في حفظ السنة والسعي في الخير، فانشرح صدري لذلك مع ما أنا فيه من الاشتغال واعتراض بعض الأمراض مع التقدم في السن الذي يعوق الإنسان في الغالب عن كثير من مقاصده، لكن الثقة بعون الله تعالى

إذا حَسُنَت النية حملتني على الاقتحام، وجرأتني على رفض التواني والإحجام،
فشمرت عن ساق الجد، واستعنت بالله فإنه خير معين وممد.

وقلَّ من جدَّ في أمرٍ يحاوله فاستعمل الصبر إلا فاز بالظفر

وإن لم أكن أرى نفسي أهلاً لما هنالك، ولا من فرسان ميادين تلك
المسالك، فلا يمنعني ذلك من أن أجود بقلبي وموجودي، وبعد ذلك لا ألام
فإن خير الصدقة جهد المقل كما قال ﷺ، ورحم الله القائل:

أسير وراء الركب ذا عرج مؤملاً جبر ما لاقيت من عرج
فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا فكم لرب الورى في الناس من فرج
وإن ضللت بِقَفْرِ الأرض منقطعاً فما على أعرج في ذاك من حرج

وأعوذ بالله من طعن الحاسدين، وأهل الأهواء المغرضين، الذين
استمروا الواقعة في أعراض المسلمين، وخاصة أهل العلم والدين، وكأنهم
لمحاسن أهل الفضل أعداء وعنها من المتصاممين، ولم يسمعوها ما قال بعض
من غني بنصيحتهم ونصيحة أمثالهم ممن هم للعورات متتبعون:

فالناس لم يصنفوا في العلم لكي يصيروا هدفاً للذم
ما صنّفوا إلا رجاء الأجر والدعوات وجميل الذكر

فهذا زمان غلب فيه الجهل وعم، وطغى على أهله بحر الفتن والفساد
وطم، وكثر فيه النكير على أهل الخير ممن تورط في ظلمات الزيغ وارتطم،
فالفضيلة بين أهله مغموطة مستورة، والعثرة ولو بسوء الظن علانية مشهورة،
وقد سبق فيهم قول القائل:

إن يعلموا الخير أخفوه وإن علموا شراً أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا
وقول الآخر:

إن يسمعو سُبَّةً طاروا بها فرحاً عني وما سمعوا من صالح دفنوا
صمَّ إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

ومع هذا فالدعوى الباطلة فيهم فاشية، وأقوال أهل الحق والمعرفة
عندهم لاغية، فلذلك تقدمت فيهم الأندال، وتأخر أهل الفضل والكمال، فهم
كما قال من يصف مثل ما نحن فيه في الحال:

أرى زمناً نَوَّكاه أسعدَ أهله ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته فكبَّ الأعالي بارتفاع الأسافل
وقد اتضح فيه مصداق قول الرسول ﷺ: «شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً،
ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه». ومع ذلك فأهل الحق لا تؤثر
عليهم عوارض الأحوال، ولا يصدهم عن اتباعه كثرة الزعازع والأهوال،
وواجب النصح عليهم فرض باق لا يزال، والنشء محتاجون إلى الخير على
أيدي الكبار، وإلا فمن أين يعرفون السبيل المستقيم والطريق القويم، ولقد
أحسن القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي إذ يقول:

متى تصل العطاش إلى ارتواءٍ إذا استقت البحار من الركايا
ومن يثني الأصغر عن مراد إذا جلس الأكابر في الزوايا
وإن ترقَّع الوضعاء يوماً على الرفعاء من إحدى الرِّزايا
إذا استوت الأسافل والأعالي فقد طابت منادمة المنايا
والتوجع من هذه الأحوال في الناس قديم، والأمر فيه على مر الأيام

مستديم.

والمقصود أن الفقير إليه تعالى قد شرع في شرح الكتاب المذكور على
طريقة هذا بيانها:

أولاً: البدء بالآية التي ابتدأ بها المصنف وهي آية الوضوء وشرحها
شرحاً وافياً، ثم شرح الأحاديث على ترتيب المؤلف بصورة كالآتي:
وهي أنني أبدأ بالرجال فأترجم لكل واحد منهم، وأذكر بعض رواته
ومشايخه، وأعتمد في ذلك على كتاب «تهذيب التهذيب»؛ لكن لا أتقيد بلفظه،
ولا أستوفي كلامه، ولا أخرج عنه؛ إلا في النادر، واكتفيت بالتنبيه على هذا
في المقدمة من العزو له في كل ترجمة، ثم بعد ذكر تراجم الرجال أذكر من
أخرج الحديث غير المصنف، وأكتفي في العزو بأصل الحديث، ولا أعني
ببيان الاختلاف في الألفاظ في الغالب، إلا عند الحاجة، وتوقف الفائدة على
ذلك كالزيادة المفيدة، أو النقصان في المتن، وكذا الاختلاف في إسناد
الحديث بأن يكون من طريق واحد، أو طرق متعددة، إنما أعني بذلك عند
الحاجة إليه، ثم أتكلم على لغته، وإعرابه، ومعناه بعنوان لكل ذلك، ثم على

فقهه، وما يستفاد منه ومناقشة الأدلة عند الخلاف بصورة مختصرة غير مخلة، وقد رقت أحاديث الكتاب بالتسلسل، وجعلت الإحالة على ما تقدم سواءً أكان من التراجم أو غيرها بأرقام الحديث دون أرقام الصحائف، وكأني ببعض المتنطعين أو المنتحلين للعلم يعترض بالتطويل، فليعلم أنني قصدت خدمة الكتاب من جميع نواحيه، ولم أقتصر في التراجم على التقريب، ونحوه لأنني أعلم أن كثيراً من الناس لا يتسنى له الاطلاع على التراجم لعدم المصادر، فأردت أن يكون الكتاب يكفي بنفسه عن الرجوع إلى غيره، ومع ذلك لا أبيع به بشرط البراءة من كل عيب، فإن الإنسان عرضة للسهو والنقصان، وكما له في أن يزيد صوابه على خطئه، ولم يجعل الله العصمة لغير أنبيائه، وليس المخطئ من أخطأ الصواب فحسب بل إن أكبر الخطأ في أن يعتقد الإنسان أن أحداً من الناس لا يخطئ، وقد اجتهدت وما عليّ وراء الاجتهاد من سبيل، والله حسبي ونعم الوكيل، فإن صادف سعبي من ينظر إليه بعين الرضا فسيجد فيه ما يستفيد منه ولعله يرضى، وإن كانت الأخرى وهي أن ينظر إليه بعين السخط فينزل منه منزلة المُسَخِّطِ وما عليه أُثْلٌ ولا على مثله أشجى وأوْلُول.

ولكن بقول من سبقني لحاله أتمثل:

تركت هوى سعدى ولبنى بمعزل وعدت إلى مصحوب أول منزل
ونادتني الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد لغزلي نساجاً فكسرت مغزلي

فرحم الله امرأ أنصف أخاه، ودعا له بخير على ما بذله وأسدها، فإن الجزء من جنس العمل، والله الذي يحقق لطالب الخير منه الأمل، وفيه الرجاء وعليه المعول، وقد سميته كما افتتحته وبدأته: (شروق أنوار المنن الكبرى الإلهية بكشف أسرار السنن الصغرى النسائية)، وإني لأرجو أن ينفعني به من هو مطلع على سري وعلانيتي ومدى تعبي فيه، وأن يرزقني الإخلاص في العمل كله والرغبة في فضله وكرمه دون غيره، وأن يجعله لي ذخراً أنتفع به عند القدوم عليه، وذكراً لي بعد الموت يدعوا لي من نظر فيه، وأن يعينني على تمة باقيه إنه خير معين، ويبيده أزمة الأمور وإليه المصير يوم الدين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ترجمة المؤلف ﷺ

الإمام الحافظ شيخ الإسلام قاضي مصر أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي، نسبة إلى مدينة بخراسان يقال لها نسا، فهو خراساني المولد، والمنشأ، وولد سنة ٢١٥هـ، وقيل ٢١٤هـ. سمع من قتيبة بن سعيد وأكثر عنه، وكان رحل إليه، وهو ابن ثلاثين سنة كما جزم به الذهبي، وفيما نقل هو أن ذلك على التقريب، وقال: أقمت عنده سنة وشهرين، وسمع إسحاق بن راهويه، وهشام بن عمار، وأبا كريب، وسويد بن نصر، والحارث بن مسكين، وعيسى بن حماد زُغْبَة، وخلاتق في أقطار البلاد، غيرهم بخراسان والعراق، والحجاز، والشام، ومصر، ورحل في هذه الآفاق، واستقر بمصر، وروى عنه خلائق كثيرون منهم: ابنه عبد الكريم، وأبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق ابن السني، وأبو علي الحسن بن رشيق العسكري، وأبو القاسم حمزة بن محمد بن علي الكناني الحافظ، وأبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوية ومحمد بن معاوية بن الأحمر، ومحمد بن القاسم الأندلسي، وعلي بن أبي جعفر الطحاوي، وأبو بكر أحمد بن أحمد المهندس، هؤلاء رواة كتاب السنن كما قال صاحب التهذيب، وابن الأحمر هو الذي أدخل كتاب السنن الأندلس، وروى عنه أيضاً أبو بشر الدولابي وهو من أقرانه وأبو عوانة في صحيحه وأبو بكر الحداد الفقيه وأبو علي بن هارون وأبو جعفر العقيلي وأبو علي النيسابوري الحافظ، وخلق غيرهم، وقد اتفق الأئمة على حفظه وإتقانه، وجلالة قدره، وتبريزه في علم الحديث، ومعرفته بالرجال، وثناء الأئمة عليه كثير، قال الحاكم: سمعت علي بن عمر الحافظ غير مرة يقول: أبو عبد الرحمن مقدّم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره، وقال مرة: النسائي أفقه مشايخ عصره، وأعرفهم بالصحيح، والسقيم، وأعلمهم بالرجال فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه، فخرج إلى الرملة فسئل عن فضائل معاوية فأمسك

عنه فضربه في الجامع، فقال: أخرجوني إلى مكة، فأخرجوه وهو عليل وتوفي مقتولاً شهيداً.

وقال الدارقطني: كان أبو بكر الحداد الفقيه كثير الحديث ولم يحدث عن أحد غير أبي عبد الرحمن النسائي فقط، وقال: رضيت به حجة بيني، وبين الله تعالى. قال الدارقطني: سمعت أبا طالب الحافظ يقول: من يصبر على ما يصبر عليه أبو عبد الرحمن، كان عنده حديث ابن لهيعة ترجمة ترجمة فما حدث بشيء منه، وكان لا يرى أن يحدث بحديث ابن لهيعة.

قال ابن كثير ﷺ: كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، ونقل عن الحافظ أبي علي أنه قال: للنسائي شرط في الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج. وقال أيضاً: رحل إلى الآفاق واشتغل بسماع الحديث، والاجتماع بالأئمة الحذاق إلى أن قال: وقد جمع السنن الكبير، وانتخب منه ما هو أقل حجماً بمرات، وقد وقع لي سماعهما، وقد أبان في تصنيفه عن حفظ وإتقان، وصدق وإيمان، وعلم وعرفان. اه، قلت: وقوله انتخب منه إلخ يعني السنن الصغرى وهي هذه التي بأيدينا نشرحها الآن أعان الله على ذلك.

قال الذهبي: تفرد بالمعرفة، والإتقان، وعلو الإسناد، وفي التهذيب: قال ابن عدي: سمعت منصوراً الفقيه، وأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي يقولان: أبو عبد الرحمن إمام أئمة المسلمين، وقال أبو علي النيسابوري: كان من أئمة المسلمين، وقال فيه: الإمام في الحديث بلا مدافعة، وقال أيضاً: رأيت من أئمة المسلمين أربعة في وطني، وأسفاري اثنان بنيسابور: محمد بن إسحاق وإبراهيم بن أبي طالب، والنسائي بمصر، وعبدان بالأهواز، وقال مأمون المصري: خرجنا إلى طرسوس فاجتمع من الحفاظ: عبدالله بن أحمد، ومربّع، وأبو الأذان، وكيلجة، وغيرهم فكتبوا كلهم بانتخاب النسائي، وقال أبو الحسين بن المظفر: سمعت مشايخنا بمصر يعترفون لأبي عبد الرحمن النسائي بالتقدم، والإمامة، ويصفون من اجتهاده في العبادة بالليل والنهار، ومواظبته على الحج والجهاد، وإقامته السنن المأثورة، واحترازه من مجالس السلطان، وأن ذلك لم يزل دأبه حتى استشهد.

كان ﷺ قد صنف كتاب خصائص علي، فاتهمه بعض الناس بالتشيع.

قال أبو بكر المأموني: سألته عن تصنيفه كتاب الخصائص، فقال: دَخَلْتُ دمشق والمنحرف بها عن علي كثير، فصنفت كتاب الخصائص؛ رجاء أن يهديهم الله. ثم صنف بعد ذلك كتاب فضائل الصحابة، وقرأها على الناس، وقيل له - وأنا حاضر: ألا تخرج فضائل معاوية فقال: أي شيء أخرج؟ اللهم لا تشيع بطنه، وسكت السائل، وقد ذكر الذهبي أن هذه منقبة لمعاوية للحديث الثابت عنه ﷺ وفيه: اللهم من لعنته، أو شتمته، فاجعل ذلك له زكاة ورحمة. قال السيوطي فيه: الحافظ شيخ الإسلام وأحد الأئمة المبرزين، والحفاظ المتقنين، والأعلام المشهورين، جال البلاد، واستوطن مصر، فأقام بزقاق القناديل، وذكر ابن كثير أنه ولي الحكم بحمص، ونقل ذلك عن شيخه المزي، وذكروا أنه كان له أربع نساء حرائر، وسريتان وأنه كان في غاية الحسن، وكان كل يوم يأكل ديكاً، ويشرب مرقه، ويشرب نقيع الزبيب الحلال، وأنه دخل دمشق فسئل عن فضائل معاوية فقال: أما يكفي معاوية أن يذهب رأساً برأس حتى يروى له فضائل، فجعلوا يطعنون في خصيئته حتى أخرج من الجامع، فسار من عندهم إلى مكة فمات بها سنة ٣٠٣، ولم يختلفوا في أن هذا سبب موته، وإنما اختلفوا هل كان ذلك بدمشق، أو بالرملة؟ فمنهم من قال إنه بدمشق، وموته بمكة، ودفن بين الصفا والمروة، ومنهم من قال بالرملة، ودفن في بيت المقدس في صفر من السنة المذكورة ٣٠٣هـ، وكان خروجه من مصر في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثمائة وعمره على قول الذهبي: ٨٨ سنة - رحمتنا الله وإياه برحمته الواسعة - .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي:

١ - تأويل قوله عز وجل

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾



التأويل: تفعيل من أول الشيء، يؤوله، تأويلاً، وتأوله؛ إذا رده إلى أصله، وثلاثيه آل يؤول، أولاً، ومالاً - إذا رجع - والأول الرجوع، وتأويل الكلام تفسيره وبيان المراد منه، ومنه قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في عمرة القضاء، وهو أخذ بخطام ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم حينما دخل مكة:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله

فالمراد: على تأويل رؤيا الرسول - عليه الصلاة والسلام - أو القرآن الذي نزل بمقتضاها وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ﴾، الآية وهذا هو الغالب في استعماله في القرآن، وقال الجوهري: التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أولته تأويلاً وتأولته بمعنى، ومنه قول الأعشى:

على أنها كانت تأول حبها تأول رباعي السقاب فأصحابا

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى: إن التأويل، والمعنى، والتفسير واحد. وقال بعضهم: التفسير، والتأويل معناهما واحد بحسب عرف الاستعمال، والصحيح تغايرهما، وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا، وأكثر استعماله في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها، وفي غيرها، والتفسير أكثر ما

يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثر ما يستعمل في الجمل، اهـ.
 قلت: من استعماله في الرؤيا قول عاتكة بنت عبد المطلب بعد وقعة بدر
 لما ظهر مصداق رؤياها التي رأتها قبل الوقعة وهي أن رجلاً دخل المسجد
 فنادى: يا آل عُدر، قوموا إلى مصارعكم في ثلاث، فكذبوها حتى قال أبو
 جهل: «يا بني هاشم أما رضيتم أن تنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم، ثم قال:
 ها نحن ستربص بكم ثلاثاً فإن كان ما قالت حقاً فسيكون وإلا كتبنا عليكم
 أنكم أكذب أهل بيت في العرب» فقالت:

أَلَمَّا تَكُنْ رُؤْيَايَ حَقًّا وَيَأْتِكُمْ [بتأويلها] قُلْ مِنْ الْقَوْمِ هَارِبٌ
 وَقَالَ اللَّهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ حِكَايَةَ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ
 قَبْلُ﴾.

وعند الأصوليين التأويل: صرف اللفظ عن المعنى المتبادر منه الذي
 يسمونه الظاهر إلى معنى مرجوح، وينقسم عندهم إلى مقبول، ومردود،
 وتلاعب. فالمقبول ما كان الصارف فيه صحيحاً، والمردود: ما كان في ظن
 المستدل صحيحاً، وهو في نفس الأمر فاسد، والتلاعب: ما كان لغير دليل.
 قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: من العزة وهي القوة، والشدة، والرفعة، والغلبة وَعَزَّهُ غلبه، ومنه
 قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. وقوله: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾
 وقولهم في المثل: من عَزَّ بَزَّ، أي من غلب سلب. وقول الخنساء تنعي إخوتها:
 كَانَ لَمْ يَكُونُوا حَمِيًّا يَتَقَى إِذِ النَّاسِ إِذْ ذَاكَ مِنْ عَزٍّ بَزًّا
 أي من غلب سلب، وقول جرير في عبد الملك بن مروان:

يَعُزُّ عَلَى الطَّرِيقِ بِمَنْكِبِيهِ كَمَا ابْتَرَكَ الْخَلِيعَ عَلَى الْقِدَاحِ
 أي يغلب عليها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّزْنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي غلبني والهاء
 في قول المصنف: «قوله» ترجع إلى الله تعالى، ولم يتقدم ذكر لفظ الجلالة
 لأنه في قلب كل إنسان حاضر، فهو بمثابة المذكور، فهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ
 هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مع أن الضمير قد يعود إلى غير مذكور كما قال تعالى: ﴿حَتَّى
 تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِلُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَأَغْشَوْا وُجُوهَكُمْ
 وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾. هذا صدر آية التيمم وتمامها ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ

وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَمْبَيْنِ وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهِّرُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرَضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴿٤﴾ .

الكلام عليها ينحصر في أمور:

الأول: في ابتداء المصنف الكتاب بها في بدء كتاب الطهارة كما فعل البخاري رحمته الله بدأ بها في كتاب الطهارة، وذلك مناسب من وجوه:

- ١ - التبرك في مبدأ الكلام بكلام الله تعالى .
- ٢ - أن الأصل في الاستدلال على الأحكام الشرعية كتاب الله تعالى أولاً وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام ثانياً .
- ٣ - أن أكثر أحكام الطهارة ينبنى على هذه الآية الكريمة ويتفرع عنها، فالكلام على الطهارة بيان لمعنى الآية الكريمة، ولهذا أورد المصنف في شرحها جميع أحاديث الطهارة شرحاً لها كما يأتي .

الثاني: سبب نزولها:

ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - في بعض أسفاره - وهي غزوة المريسيع، والصحيح أنها كانت في سنة ست من الهجرة كما يأتي بيانه في شرح الحديث إن شاء الله، وهي غزوة بني المصطلق من خزاعة، والمريسيع اسم ماء لهم كانوا عليه بالساحل من ناحية قُديد، قالت عائشة: حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فذكرت الحديث قالت: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمّموا، فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر . وهذا السبب متفق على أنه سبب النزول، وأن التيمم لم يكن شرع قبل ذلك كما يأتي إن شاء الله تعالى .

غير أنه أشكل على العلماء أي الآيتين تعني عائشة رضي الله عنها؟ أهي: هذه، أم آية النساء؟. وذلك لأن آية النساء فيها ما يدل على أنها متقدمة على غزوة المريسيع، لأن فيها ذكر تحريم الصلاة في حال السكر، وذلك قبل تحريم الخمر، وتحريم الخمر مختلف فيه فقيل: كان في حصار بني النضير، وذلك سنة أربع من الهجرة وقيل: بعد بدر، وقبل أحد، وذلك كله قبل نزول آية

التيتم في غزوة المريسيع وهي التي كانت فيها قصة الإفك، وفي سياق حديث الإفك قالت: كان يعرفني قبل نزول آية الحجاب تعني صفوان، ونزول الحجاب صبيحة عرس النبي ﷺ بزینب، وذلك بعد مقتل بني قريظة في آخر سنة خمس، فتعین كونها سنة ست كما قال خليفة بن خياط.

ولهذا الاختلاف قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمته الله: وهي معضلة ما وجدت لدائها من دواء عند أحد، وهما آيتان فيهما ذكر التيمم إحداهما في النساء، والأخرى في المائدة، فلا نعلم أية آية عنت عائشة؟ وآية التيمم المذكورة في حديث عائشة النازلة كانت عند فقد العقد في غزوة المريسيع قال خليفة بن خياط: سنة ست، وقال غيره سنة خمس، وليس بصحيح، وحديثها يدل على أن التيمم قبل ذلك لم يكن معلوماً ولا معمولاً به، فالله أعلم كيف كانت حال من عدم الماء وحانت عليه الصلاة، فأحدى الآيتين مُبَيَّنَّةً والأخرى زائدة عليها، وإحداهما سفرية، والأخرى حضرية، ولما كان أمراً لا يتعلق به حكم خبأه الله ولم يتيسر بيانه على يدي أحد، ولقد عجبت من البخاري بؤب في كتاب التفسير في سورة النساء على الآية التي ذكر فيها التيمم، وأدخل حديث عائشة فقال: «وإن كنتم مرضى أو على سفر». وبؤب في سورة المائدة فقال: باب «فلم تجدوا ماء» وأدخل حديث عائشة بعينه وإنما أراد أن يدل على أن الآيتين تحتمل كل واحدة منهما قصة عائشة وأراد فائدة أشار إليها هي أن قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ إلى هذا الحد نزل في قصة علي وأن ما وراءها قصة أخرى، وحكم آخر لم يتعلق بها شيء منه، فلما نزلت في وقت آخر قرنت بها، والذي يقتضيه هذا الظاهر عندي أن آية الوضوء يذكر التيمم فيها في المائدة، وهي النازلة في قصة عائشة. وكان الوضوء مفعولاً غير متلو فكمل ذكره، وعقب بذكر بدله واستوفيت النواقض فيه ثم أعيدت من قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ﴾ إلى آخر الآية في سورة النساء مركبة على قوله: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ حتى تكمل تلك الآية في سورة النساء جاء بأعيان مسائلها كمال هذه ويتكرر البيان وليس لها نظير في القرآن، والذي يدل على أن آية عائشة هي آية المائدة أن المفسرين بالمدينة اتفقوا على أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ يعني من النوم، وكان ذلك في قصة عائشة والله أعلم اهـ.

قال الفقير إليه تعالى كاتب الحروف: فتحصل من هذا أن الراجح أنها آية المائدة إلا أن طرفاً منها ألحق بآية النساء، فإذا تقرر من هذا أن آية المائدة هي التي نزلت في شأن عائشة، وذكر فيها الوضوء ليكون مفروضاً بالقرآن كما كان مفروضاً بالسنة، وليرتب عليه بدله، وتذكر أسبابه، وهي أسباب بدله أيضاً، وأن آخر آية النساء تأخر نزوله عن أولها حتى كان بعد نزول آية المائدة، ثم قرن بأول الآية لتتم الفائدة هنالك تمامها في المائدة.

فهذا ما صحح في سبب نزول الآية، وهو يؤيد القول بأن ذكر الوضوء لم يكن أول بيان وجوبه لأنه كان معلوماً قبل ذلك، ولكن ليرتب عليه البدل كما تقدم.

وقد ورد في سبب نزول آخر آية النساء أن الصحابة رضوان الله عليهم أصابتهم جراحة، ففتشت فيهم، ثم ابتلوا بالجنابة، فشكوا ذلك للنبي ﷺ فنزلت. ورجح القرطبي أن آية التيمم آية النساء لعدم ذكر الوضوء فيها، ويرده ما تقدم.

قال العيني: وقد ذكر الحميدي في جمعه حديث عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة فذكر القصة، وفيها فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ بِحَمَتِهِ عَلَيْكُمْ لِمَلَأَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

قلت: وهو نص في موضع النزاع.

الثالث: توضيح معاني ألفاظها وبيان مفرداتها:

قوله: (يا) حرف نداء للقريب والبعيد، وقيل: يختص بالبعيد حقيقة أو حكماً وقيل: للقريب وقيل: بينهما وبين المتوسط، وهو عند بعضهم أصل حروف النداء، ولهذا يختص بأمور: منها: أنه لا يقدر عند الحذف منها غيره نحو ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُونَ الْكَذِبُونَ﴾. ومنها: أنه يختص ببناء لفظ الجلالة نحو - يا الله - ومنها: أنه لا يستعمل في الاستغاثة غيره، وفي الندبة إما بالواو، أو به عند أمن اللبس.

ومنها: أنه يختص ببناء أيها، وأيتها كما قال بعضهم نحو: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ﴾.

وقوله: (أي): اسم يتوصل به لنداء ما فيه أل، وذلك أحد معانيه التي يأتي لها في اللغة، وهي «خمسة». الثاني: أن تكون شرطية نحو ﴿أَيَّامًا تَدْعُونَ﴾ الثالث: أن تكون استفهامية نحو «أي الفريقين» والرابع: أن تكون موصولة نحو ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾، وقول الشاعر:

إذا ما لقيت بني مالك فسلم على أيهم أفضل

الخامس: أن تكون بمثابة الصفة، فتكون بعد النكرة صفة نحو: لقيت رجلاً أي رجل، وتكون حالاً بعد المعرفة نحو: «لقيت محمداً أي رجل» وهي في النداء وصلة كما تقدم؛ إلا عند الأخفش؛ فإنه يرى أنها موصولة، وصدُرُ صلتها ضمير محذوف، وهو العائد فيكون التقدير «يا من هم الذين آمنوا» و«يا من هو الرجل».

وقوله: «ها»: للتنبيه، وهو أحد معانيه، فتدخل على أربعة أشياء:

الأول: ضمير الرفع المخبر عنه باسم الإشارة نحو ﴿هَآئِنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾.

والثاني: اسم الإشارة غير المختصة بالبعيد نحو: «هذا».

الثالث: نعت أي في النداء، كما هنا، ونحو: يا أيها الرجل، وهي هنا واجبة للتنبيه على أنه المقصود بالنداء، وعند بعضهم أنها عوض عما تضاف إليه أي. وفي لغة بني أسد يجوز فيها حذف الألف، ويجوز فيها ضم الهاء إتباعاً كما في قراءة ابن عامر ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾. ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاجِرُ﴾، والضم للإتباع، وذكر بعضهم أنها عوض عن تكرير حرف النداء لأن الأصل في «يا أيها الرجل» يا أي يا الرجل.

الرابع: اسم الجلالة في القسم؛ منه قول الصديق رضي الله عنه في حديث أبي قتادة في صحيح مسلم في قصة سلب القتيل يوم حنين: لاها الله إذا لا يعمد إلى أسدٍ من أسود الله ينافح عن الله ورسوله؛ فيعطي سلبه أصيبع من قريش... الحديث، وتكون بقطع الهمزة، ووصلها مع حذف الألف، وإثباتها.

وقوله: ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول قيل إنه جمع مفردة الذي، وهو

الذي مشى عليه ابن مالك في ظاهر قوله:

جمع الذي الأولى الذين مطلقاً

وهو الراجح. واحتج له بأنه جاء على صفة جمع المذكر، ولهذا رفعه

بعضهم بالواو كما قال ابن مالك :

وبعضهم بالواو رفعاً نطقاً

وهي لغة هذيل كما في قول بعضهم :

نحن الذون صبّحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا
ورجح العيني ﷺ : أنه اسم دال على الجمع ، وليس بجمع ، واحتج بأنه
أخص من مفردة لأن مفرده يكون للعاقل ، وغيره ، وهو لا يكون إلا للعاقل
والمشهور الأول ، وقد جاء الذي بمعنى الذين كما يأتي المفرد بمعنى الجمع
كما في قول الشاعر :

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد
وهو هنا إما صفة لـ «أي» ، وهو الجاري على السنة المعربين ، وفيه وجه
آخر وهو أنه نعت لموصوف محذوف التقدير : أيها القوم الذين آمنوا ، أو الناس
الذين آمنوا ، والخطاب بالذين لجماعة الذكور ، ويدخل فيه في عرف الشرع
الإناث ؛ إما لأنهم مخاطبون على السنة الذكور ، أو لأنهم تبع للذكور في أغلب
الأمر .

وقوله : ﴿ءَامَنُوا﴾ : صلة الموصول ، وأصل هذا اللفظ أن يراد به
وصف جماعة الذكور كما تقدم ، والإيمان في اللغة : التصديق ومنه قول أبناء
يعقوب لأبيهم : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ . ولكنه في عرف
الشرع : مخصوص بالتصديق الجازم بما جاء به الرسول ﷺ عن الله تعالى
فيكون على ذلك له حقيقة لغوية ، وحقيقة شرعية ، وهذا أصله في الشرع كما
في حديث جبريل المشهور فإنه لما سأله ﷺ بقوله : أخبرني عن الإيمان قال :
«أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره ، وشره»
الحديث ، وجاء في الشرع مراداً به الصلاة ، وهي من أعماله ، ولوازمه كما في
قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس ، كما
جاء مراداً به سائر وظائف الشرع في قوله : «الإيمان بضع وسبعون شعبة ،
فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق» . لأن من شرط
صحة التصديق مطابقة الجوارح للقلب بالعمل كما سيأتي . ويطلق على مراقبة
الرب كما في قوله ﷺ : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث ، فإن
مذهب أهل السنة والجماعة أن لا يكفر أحد بذنب من هذه الأعمال ، ولا

غيرها من الكبائر ما عدا الشرك بالله، والخلاف في ترك الصلاة عمداً، فالمراد أنه ساعة الزنا ترفع من قلبه عظمة الرب فينقص إيمانه بذلك، فكأنه غير مصدق بمشاهدته له ساعة التلبس بالمعصية ولو استشعر مراقبته لما غشها، ومنهم من جعل المراد بالنفي نفي الكمال، وهو يرجع إلى ما قدمناه والله أعلم.

قوله: ﴿إِذَا﴾: كلمة تأتي في العربية لمعنيين أحدهما: أن تكون للمفاجأة فتختص بالجمل الاسمية، ولا يصدر بها الكلام، ولا تفتقر إلى الجواب، نحو: خرجت فإذا الصديق بالباب. وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْتَعِي﴾ ﴿فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ﴾، الثاني: أن تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمن كما هنا فتكون متضمنة معنى الشرط، وتفتقر إلى الجزاء غير أنها لا يجزم بها وسمع الجزم بها في الشعر في قول الشاعر:

استغن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تصيبك خصاصةً فتحمل
وتختص بالجمل الفعلية، فإن وليها اسم قدر الفعل بينها، وبينه كما في قوله سبحانه: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ التقدير إذا انشقت السماء، وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله:

وألزموا إذا إضافة إلى جمل الأفعال كهن إذا اعتلى
وأكثر أهل العربية على أنّ العامل فيها جواب الشرط، وأن الجملة بعدها في محل جر بالإضافة إليها، كما دل عليه البيت السابق، واعترض بعضهم على ذلك بقول زهير:

بدا لي أنني لست مدرك ما مضى ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائياً
وزعم بعضهم: أن الجملة هي التي تعمل فيها، وردّ بأن المضاف إليها لا يعمل في المضاف، وأجابوا عن ذلك بأنها حينئذ لا تكون مضافة كما أنها إذا جازمت لا تكون مضافة، وذكر ابن هشام أنها قد تخرج عن الشرطية كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ ﴿وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ والواقعة بعد القسم كما في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْرِ إِذَا هَوَى﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَنشَأُ﴾ على ما هو مقرر في موضعه من كتب العربية.

وقوله: ﴿قُمْتُمْ﴾: من القيام الذي هو ضد الجلوس، ويقال قام إلى الشيء إذا نهض لفعله، أو سعى لكن يعدى في السعي بفي فيقال: قام فيه،